

سلسلة ثقافة وابداع

المضحك
متروك
على المصاطب

وليد الشيخ



الضحك متروك على المطاط

وليد الشيخ

الطبعة الأولى - 2003

(كل الحقوق محفوظة)

المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي

هاتف: 2406955 * فاكس: 02 2406955

عرب، 952

رام الله - فلسطين

التنفيذ والإشراف:

المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي

الإشراف الفني:

الرئيسة

تصميم وتنفيذ الغلاف:

الفنان مروان العلان

طبع هذا الكتاب بدعم من مجلة «الشعراء» - كتاب العدد.

وليد الشيخ

الضحك متروك

على

المصاطير

البحر الأعلى ..

السمعُ لوقع الخطى الضالة

ملاحظة

لم أنتبه جيداً في 11 سبتمبر
كانت أُمي في المستشفى
تتكئ على الدرجات الأخيرة
في حرب صغيرة
مع السرطان .

عن الماضي

-1-

كلّما الغزالات أنشدن في الحقل

خوفهنّ الرشيّق

متهدّلات

يسرن إلى غروب العُشب في الليل

يكون، فنديل الله ، وحده

حارساً في البعيد القصي .

-2-

وكلّما تجيئين

بالمعطف ذاته ، البنيّ

المطعون بأوراق بنّولا طائفة

وتفتحين نافذة المساء إلى الغرفة

في الطابق السادس عشر

أرى الوحشة بأقدام باردة

تطارّد قلبي على التلّ .

-3-

عندما الذئب أفاق تلك الليلة

- إن تذكرين -

وعوى

وتألّمت حدّ الموت

رأيت في الساحة المطلة على النهر

قوارب خالية

تحمل الصرخات

لضفة أخرى .

-4-

الألم الذي أطفأ الحواس كلّها

حين جنّتك ذابلاً

ومشطوراً إلى لغتين

حين أخذت أرتجفُ

وأنا أصعدك كمرّة أولى

ولم ننته

أخبرتكَ

أنَّ الألم بلاغة القلب .

-5-

أسيِّج بالنصر خاصرتهَا

تلك التي لم أعد أنكرها ، الخسارات .

على قدميها المشغولتين بالخطو

أعلق أساور الفضَّة

وعلى صدرها السهل

أتلو مزامير النواح .

فعل

في الشرفه

يحتقلُ الضوءُ

بهمسٍ أصابعه

حيثُ

الأظافرُ

الموقرةُ

كمتقفٍ عجوز

تواظبُ

على انتشارِ العتمةِ

من

جسدِ

الليلِ.

أضواء مئة

كان

مسنى

وهم

رأيتُ

حروفاً مدلاة

بخطانِ بيضاءَ

هوى صوتها

وظلّت

أضواءً

مئة

تتسلى.

البصر للأعلى ..
السمع لوقع الخطى الضالّة

لَمَ السَّعِيُّ وِراءَ الغائِبِ
والحاضِرونَ كَثِراً
يَلْمُونَ الحِزنَ في سِلالِ القِشِّ
ويَمضونَ نحوِي تائِبينَ !

لَمَ
السَّعِيُّ
حِثُّ
وِراءَ الناقِصِ
والصِورَةُ في تمامِها تَتَجَلَّى:
البِصْرُ للأعلى
والسَّمعُ لوقِيعِ الخِطى الضالَّةِ !

لَمَ السَّعِيُّ وِراءَ آخِرينَ
والذاتُ في نِفسِها تَتَعَثَّرُ

كُلُّ هذا القلق

كُلُّ غيابِ الحكمةِ هذا

كُلُّ الخسارات - البالوناتُ الروحيةُ التي ترفعُ جسدي

لأخلقَ مثلَ حنينِ أسطوري - المتواطئة مع الرغبة في بوحِ

خاص

لِمَ الذهاب

و الأمانةُ وحدها تحيء

تبسطُ الجسدَ عليها

تختارُ الهواءَ

واللحظةَ

وومضةَ الكشف.

لِمَ

أصبُّ لغتي

في فناجين الورق

وأقدمها لزوارِ شاحبين !

كَلَامُ مَيِّتٍ

لا فاتحةً لمأتمه
لا قواربَ لنقل المعزَّين
ولا من يمزقُ الثوبَ
عندما طلَّتهُ أخيرة.

مَنْ رآه
على شرفة الموت
عالقاً بالأسى.

أين الغواة؟
والغانياتُ
لترفٍ مناديلهنَّ لصمت الجنابة
من يلوكُ الحروفَ الميِّتة؟

الكلام

احتمالاً

لمرسلين أتوا

ولم

يتحدثوا

لأحد.

أو

هو الوقتُ

على طرفِ النجم.

يتيماً

لا يجيدُ الفصاحةَ.

أو

صغيراً

لا يجيدُ اليتيمَ.

وربما الكلامُ

ملابسُ

نصَّعتها أصابعُ البنات

حينَ القولِ

على حبالِ الغسيلِ

يستحمُّ

وينفضُّ الهواءَ

بالشَّوْائبِ.

العلاج أكثر من مرة

وكَلَّمَا كَلَّمْتَهُمْ
أَشَارُوا بِأَخْشَابٍ جَافَةٍ نَاحِيَةَ الصَّمْتِ. وَتَمَلَّمَت بِسَمَةِ لَثِيمَةً
عَلَى وَجْهِهِ حَلِيقَةً لِلتَّوَّ

لَيْلَةَ الدَّمِ الحَرَامِ سَفَكَ
لَمْ يَسْمَعُونِي
كَانَ فَوْقَ الحَجِيجِ قَلْبِي يَطُوفُ
كَانَ الفِرَاعُ اقْتِرَافَ يَدِي
وَالصَّمْتِ
نَاحِيَةَ الصَّمْتِ
أُدرت وَجْهِي
وَجَدتْ جِبَالَ حَرِيرٍ وَسَهولًا خَضْرَاءَ وَنَبْعَ دَمٍ طَازِجٍ
وَإِنَاثًا كَثِيرَاتٍ
يَصْهَلُ اللَّيْلُ فِيهِنَّ
وَلَا يَعْتَمِنُ سِوَى الأَصَابِعِ

طوبى لكم أيها الناس إذ تغفرون اغترابي
ويحدث أو قد يحدث
لني تجرأت وأحدثت نثراً قرب بابي
وأنى إذا ما رأيت الغواة ندهت لهم : يا صحابي

الحواس أنا
وعينا البكر
نزولها الدرجات نحو ما أسمىتموه رذيلة
وعلوها
فوق زرقة طائشة

السؤال أنا
وأنتم حقائق لا تحيد عن الصواب.

بَابُ أَوَّلٍ

لَيْسَ

أَحَدٌ

عَلَى

الْيَابِ

إِنَّهَا رَغْبَتُكَ

تَتَأَرْجَحُ

مِثْلَ طَائِرٍ شَدَّ رِيشَهُ الْهَوَاءَ.

مِنْ غَيْرِكَ

يَصْعَدُ الْعَنَابَ الْمَحْرُوقَةَ بِالْندَمِ

لِيَنْزِلَ الْعَنَابَ مِنْ يَقِينِهِ

مَلُوحًا بِرَايَاتِ هِيَ الْقُلُوبِ.

لِعَشَاقٍ قَتَلَى

غَادِرُوا

كَغِيَمَاتِ صَيْفٍ.

باب آخر

ليس

أحد

على

الباب

جفت الأصوات

تمدد الصمت كحقلٍ موحش

الشمسُ لا تراه

العتمةُ لا تدخله

أبيض البيوت

كأهلها

من

حجرٍ

ليس

أحد

على

الباب

كَلَّمَا فَتَحْتَهُ
رَأَيْتُ أَصَابِعَ مَشْدُوهِةٍ
لَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِهَا

وَلَا

تَسَلِّمُ

عَلَيَّ .

جسط

يذخُّ كلُّه

مضول بالغواية

يتسكع في نفسه، ويداري كالعارف ظلال الضوء ونور العتمة

من يقف على منتهاه ، ولا يشفُّ

أو يصيرُ هلاماً ؟

من يدركه في الصحوة يحرس الغفوات القليلات

لأشياءه الهائلة.

هو القمر عار على بلاطة باردة

قيثارة تكاد تجنُّ كلَّ مساء

سلام كلُّه

طمأنينة الفتوة إذ تنفقد مواضع الهناءة

يتقد في المرأة

جائع

عفيف النفس

يأكل من تعب أصابعه ولا يقف على باب

من

يصف

الجسد؟

هو الطيش الخجول

الرأفة المحنية بعذاب النمر خلف غابة المسك

السيد الشارد ينحني بنوايتين لطيفتين

فوق فرس طموح

الحلو بمرارته اللذاعة

المجنون بسكينته

المختلف عليه

الهدأة اليقظة

الدائم الضماً

من

يصف

الجسد؟

الصامت ببيائه

الثرثار بأطرافه

والثابت على حق .

تحيات

حين تذهبين
أحتاج مساءات طويلة
لأرتب انفلات الكون
وأعيد الزمن لميقاته
الحكمة لابتهاجها بالطيش.

الضحك متروك على المطايح

مطارحة

المصاطبُ تلك

القديمةُ

عليها تركنا الضحك.

ياقاتُ دهشةٍ

طاردتنا

لمّا كبرنا.

ركضنا وراء طيورٍ في جبلٍ أخرس

جبلٌ كأنه صحراء

وحدها ظلالنا

تركتنا نعود إلى البيت

وظلّت

تطارِدُ أجسادنا

في الجبل.

مخرّبة

ليست المسافاتُ رحلتنا

لا العمرُ

ولا بيتُ الشقاء.

هي أفعالٌ صامتة

بعد تواصلِ الشهقة

بعد بكاءِ الإصبع

ونوحٍ

من العينِ

يطل.

طغولة

الحيطان

عليها

فعلنا الذي لا يقال على المأ

عليها

غسلنا الوجوه

بماء الحسرة

واستطبنا

عريها الرقيق

تركنا الأظافر مدمية

تخطُ على سيقانِ الطلاء

أسماء حبيباتنا

الغافيات في بيوتهن

نون خبير.

وفي التيه

يحيء الصدى صاهلاً

لا حقاً إثرنا.

إحراك

أشقياء

وساذجون

وحين دخلنا المدن

اعتقنا نساءها

وهيأنا دماً لنبيله

إذا الموازين اختلفت .

خيانة

شراع الطهارة والإثم
والحدّ الفاصل
بوضوح شديد الالتباس
الذين بلا وجل
تصبوا خيام العدل
أومأوا
بتواطؤ

مسبق

للذئاب.

رحيل

أبكيك
كأمّهات من الريف
يُربكن أثوابهن على التوايت
التي لآخرين
مرّوا، وما تركوا
خبزاً ولا ذكريات.
الشبابيك
والعتبات
نعناع حقل العجوز
أعراس القرى أواخر الصيف
الصغيرات اللابسات البساتين
واللواتي
جهّزن موائد الأسئلة
زجاجات الحنين
وفتحن لصدورهن الشبابيك
حيث لن تعرف

حطياً طازجاً مثله.

فتي كأنك صرت
تن إذا لا مستك النساء
وتكتب عن حامض دافئ يعتريك.
سأبكيك

وأفتح في روح العتمة
كما كثيراً فعلت،
الرغبة الدائمة

بصفع الرتابة كل صباح
أو مناداة الجارة
حين تطل من النافذة

وتشم عن بعد
نباح ذكورتك

واسمع صوتك كل ليل
تزلأ من علي
تعل

إني قتلتُ الظمأ.

بعل وعنقة في زيارة الأرض المحتلة

بعل:

أَتَذَكَّرُ

وقت أطلُّ على براري كتعان

أَتَذَكَّرُ

الغزالات التي شهدت علينا

وقفناك المعظمة في محطس الالهة

الجبل ، أتذكره

بيت الخبز

التي أصبحت حاضنة الربِّ الحزين

أريحا

التي علّمت الأرض

كيف المدائن تكون

قبل أن يولد الضجر

وينمو التبغ في الأفواه .

عناة :

أُتذَكَّرُ

في البعيد من الضفاف الولهى بمجدك

في الدم القليل كالندى

الذي يتساقط في ليال الزفاف

أُتذَكَّرُ

كلما مرّت التوابيت خفيفةً كطيف

والحناجرُ تتبعُها بالروح والدم

أُتذَكَّرُ

صياح الفجر

حين يهزُّ العتمةَ في الروابي

لملائكة التي تتسلّى على أكتاف التلال

عينان يقظاوان

الشمس والقمر .

وقاية

لم نستعجل البكاء
لم نسأل أهل المدينة عن السبب
فقط

انشغلنا بترتيب أسمائنا
حسب الحروف الأبجدية
كي لا نقع
شهداء مغالطات جديدة

بأسناننا

قلنا

ما يقال على الملأ
فسقطت من نقل الحروف
وانسحبت تجرُّ وراء المخيم
جنازات لغوية
معبأة في توابيت منقوبة
يسقط منها الإثم فينمو.

حالات

-1-

هذا دمك

يصعدُ الدرجات

حاراً

كظهيرة إفريقية

عجولاً

مثل نيزكٍ إلى مستقر

خائفاً

كطريدةٍ في سهل

كنوباً

كعادته .

-2-

عيناك

تماماً

بلا التباس

تشيران إليّ
أن آلهة أخرى
استأجرت مقاعد مريحة
كنتُ قد صنعتُها أنا
لأُتَمَدَّدَ

كإلهٍ

وحيدٍ.

-3-

منذُ عَتَمَةِ أَمْسٍ
الذي أَرَاهُ فِي التَّوْبِ
حينَ أُرِيدُ

صاحَتُ رِيَّاحٍ
وأورقَ أَسَى.

قائد لجة

قصائد لزجة

-1-

فالقعات الشبق

تبات الاستيقاظ المتأخر

بتركن رائحة النوم

في أميرة السعادة

حيث دفء ضجر

يمارس نفسه

ويضلل

قل ولوج الرجفة القاتلة

بيت الحياة

ملعب الرؤوس الصغيرة.

-2-

لين الأسمرانية

تطفئ أعقاب شهوتها

وتركل الليل

بأقدامٍ دائمةٍ الرفعِ
لأشْمٍ نجسٍ أفعالها
وأستطيبه.

-3-

يَدٌ خافِئَةُ اللِّمَسِ
صاحبة

على مطارحِ الفتنة

ورذيلِ الكلامِ

يَدٌ مدربة

تطوِّحُ بالزغبِ

وتمرُّ - بما وعدت - أمانة.

-4-

يا لأفعالها

نجسٍ قليلِ

وينزُّ الخائرُ من مأمنه

شقاء

الحاء تين يجفُّ

عربها يتمطى

على شقاء السرير

ويرتجف

الصرّة تصلُ انتباهتها

قرشُ احتمالاتِ صحوٍ مفاجئ

كسُّ البهجة نشوتها

الراحة تخفُّ فنسوه.

-5-

كيف مدينةٌ بلا بيتٍ بغاء

بنام أهلها ونساؤهم محصنات.

-6-

لين عصرٌ

أزلنا الرقابَ إليه

كترمى لعينيه.

حماة

ليطرقَ العزاءُ أبوامينَ

البعيدات

إناث البلاد الشمالية

لتعلقَ أئداءهنَّ الذئابُ

ليفتحنَ الشبابيكَ

ويتضرَّعنَ

ولا

يسمع

الرَّبُّ.

ربما

هنا

أنا

إذا.

جان صاحكتان

ترقبان أفعالهما

حين أمأ واحدة

ولسكن

رلس

الكتب

أنا بقا

تظنان هاتجتان

ترتظنان

حين أضمم ذلك الهواء

التي

بحرء من قمها.

بقا

سيشغلني السؤال
لأن يدي ضاحكتان
وبابُ الجسد العلوي
يأكلُ فاكهةً من هواء
ولا يتسنَّى له
ترك اللسان العفريت
ليرطبَ
بوابةً
الكلام.

العالمق

بين التلال

سحق

وتناصع الأبهة

سحق

قتله الأولون

ورفعوا الصلاة له

لا تطوره

بأوراق ثوب طازجة

شتوا الرحال إليه

ورفعوه

سيداً لأمتيانا الهائجة.

ضريح

سيهطل الخريف على الجسد

ويترهل

ويشرع بالطرق على الأعضاء

يشتدُّ بي الأرق

وقت أفكر

أنَّ النهد الطازج

خوخ الحقل

يغادر مملكته

ليبتدلي

جثةً مشنوقةً بجنونها

وأنك الآن

برفعةً أعضائك الهائلة

ضريحٍ مؤجِّل.

حاجة

القول

تنتد على العروس الشابة

وهي مصمودة على الكرسي العريض

المصنوع من خشب رخيص وبلاستيك

حجاب الجسد الذي سيأخذها الليلة إلى حيث تدرك أمها

والسوة التواتي يرقصن أمامها الآن ويفرزن عرقاً له رائحة

سالحة وتتصن عيونهن أجساد الرشيقات بنات

الريف المصقولات من الدعك والملاطفة الخشنة من أبناء

الصومة والخزولة.

تنتد القول والغناء على العروس الشابة

بظرات باردة

رمقتها الصمات

كمصاصع الجراحين الذين يفتحون القلوب بلا دهشة حين يفر

ماتر الحب من حجرة القلب ويرتطم بمصابيح غرفة العمليات

المضفة.

بموت الطير

وينظف الجراحون القلب من وصمة النبض وعار الاشتياق
والعروس تشتد عليها الحاجة.

تخمين

خبرنا ان هناك رجلين

زمن ليض

سال طويلاً منذ لقائنا الأخير

وانت حتى لم تتصل بعد

تصليني

هل اتفق كعادتي متأخراً ؟

هل عرفت أخيراً الكريم "كارميل" ؟

هل ترك المكواة مشتعلة وأذهب ؟

زمن ليض

وطويلاً سال

منذ لقائنا الأخير

وانت حتى لم تتصلي بعد

كعادتك القديمة

حتى عندما كنا نتخاصم لأسباب معقولة .

مخدي ثلاثه جارات

-1-

عندي ثلاث جارات

الأولى

بيضاء لدرجة أنها تتسخ بسرعة

حتى من عادم السيارات

والأخرى

مشغولة باختراع جنازات وهمية

لتبكي

وتبكي

وتبكي

ونفتح ذراعها للمعزيات

وتضغط بقوة

أما الثالثة

تضع يدها تحت الإبط وتشم

وفي الزوايا المعتمة

تمسك الأطفال وتشم

عندي ثلاث جارات
بيضاء وتضغط بقوة
والتي تتم .

-2-

عندي خمس شجرات في الحديقة
واحد غامض الملامح
رأته مررت
بمنه الهنود الحمر

كان يرموش سوداء طويلة
ويحسب كتفين

وعندي أم دالمة في الخصية اليمنى
يرعجة في صوت طبيعي
عزى سرور أبيض ونظيف .

-3-

عندي رغبات في الجري

مثل نورست غامب - هل شاهدتموه في الفيلم ؟

ورغبة في امرأة واحدة

لا أبدلها

طعمها يزداد حلاوة

ومخيلتها لا تتضب

هناك، أيضاً

أمنية قديمة .

كل ما في الأمر

تحياب

ثيابك التي تركتها

القليلة

الخاصة

التي أصابعي لوحتها

عبر مرة.

ثيابك

التي غسلتها بالحنين

شربتها على الملاء

شهدوا أنك

خارج الثياب

وأن غرفتي يتيمة

وأن الشهقة التي تناهت

ساء أمس

محض روح

عققت أطرافها

على صياح النافذة.

فصل من نسيان

الساعةُ البنيَّةُ
والعقاربُ الخشبُ
الدبُّ الصغيرُ
الملاءةُ النظيفةُ مثلُ مساءٍ باردٍ
إطارُ اللوحةِ الضائعةِ
الجدرانُ خافتةُ اللونِ
النوافذُ الطويلةُ أكثرَ من قامتكِ
القيامَةُ المؤجلةُ في المخطوطاتِ
التبغُ
والسهوُ
الفطنةُ
والتيهُ

ثيابُ التي بيضاء كالثلجِ
والعباءةُ في الذاكرةِ
كأنك نسييتِ.

كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ

ليس في النصِّ آثارُ صحراءٍ
ولا غنائمُ حربٍ
أنتِ فقط
وطنٌ أعمى
يمضي لمصائره الواضحة
متعثرًا بالعشب

ليس في النصِّ آثارُ صحراءٍ
ولا غنائمُ حربٍ
لا مكان لأشْمٍ وجهك
أو أفلدٍ جسدي بغوايتك
وأيضاً،
الزمانُ لا يلبقُ
باندلاقٍ فمٍ محمومٍ
على مطرحِ الذكورة

إذاً واحدة
يا ستّ الناس
ليفضّ ماؤك على النبات الثّقي
علّ حضارة تتفتح
ويغسل الفتیان أقدامهم بحبّك
فيجنّوا
أو
يتساهلوا في الأمر.

دوائر مثقوبة

النوافذُ غادرتك
وأرخت ستائرَها العزلة
بألفةٍ تبيتُ الوحشةُ إلى جوارك
وشتاء اليوم
ليس الذي كان قربك
إذ تمدُّ يدك
لتوقظَ وحشك الغافي
وتريحُ ما يلدُّ من ألم.

الوجوهُ التي تعرف
دوائرٌ مثقوبة
يلعبُ الموتُ بقدمين صغيرتين
على أطرافها

فجأةً
كأنك كبرت.

مفردات

مرتبّ

كلُّ شيء

بأصابعها

الأحلامُ من جيدها

معلقةٌ على مشاجب الوهم

الرسائلُ مغطاةٌ

كضحيةٍ حرب.

شوقها

وحده

يطلُّ كلَّما خبأته

ليقرأ

الأحلامَ

والرسائل.

عجوز يتمشى على جسر مهترى

ويفكر بأشياء صغيرة

كَمْ

بلغتُ

من

الحنين!

انتظار

رعاة

سيجيئون عند المطر

ويسبحون

بحناجر مجلية

من مناداة القطيع

المتناثر

كصغار مدرسة ابتدائية.

رعاة

ذاهبون في غموضهم

يجرؤون حول المدن

باحثين عن بيوت

تشبه الذي نسوه من خيام

حين

كلُّ

شيء

رمل.

الرعاةُ

بأصابعَ كالطباشير

يعجنونَ في الهواءِ نساءهم

ويتركونَ للأنوفِ الحادةَ

حريةَ التشكيلِ

: الرائحةُ

هنا.

يعوون

يفيض من أجسادهم

ما يشبه الحنين

فيسقطون.

أشياء عاطفية

-1-

الملائة زرقاء سماوية

يداك وسادتان

رأسي فوضى محطات القطار

وأنا

لاجئ الوقت لا الأرصفة .

-2-

أبحث عن إجابة

في ممرات الروح

وضلالة الرؤى

خلف أوهام زاهية الاحتمالات

ومقطوعة الأصابع.

-3-

أحبك،

وحقوق البوح والاستعارة
محفوظة
على مسامات الجسد.

-4-

تهرب سنوات العشرين
كالأرانب
تاركة أعشاباً حمقاء
لرغبات مؤجلة
لن
تجيء.

صور قديمة

صور قديمة من جامعة باتريس لوممبا

الضحكات المارغوانية
النازلة من غرف الطلبة
إلى قاعات العلوم
المدرسون المنهمكون في هيئتهم
ببدلات ورمادية
وحقائب من جلد
بنات أمريكا اللاتينية
المتشبهات
بمقاتلين أوائل السبعينيات
عندما لم يجف بعد دم جيفارا
وباتريس لوممبا
وثنوريين آخرين
ومتقفون
مدججين بالديكالتيك واللحي اليسارية
وحبّات العرق الجافّة
على آباط قمصان كحلية

أغنيات الكاتوشا الطائرة من الشبابيك

المناجلُ

والشواكيشُ

النجماتُ

والبوسترات المقاتلة

البيانات التي تشدُّ من أزر الرفاق

ترفع التحيات الحارة

لمجالس السوفييت

الكلام الذي يعرفه الشيوعيون جيداً

الأحمر القاني

مخاصمة التحريفيين الصينيين

الذين بلا وجل

أعلنوا دولة الفلاحين

وشتموا ماركس

دون أسباب وجيهة.

ثقافة

لنقل

أنتك تلتبسين الخريف

الحقبة

الحذاء العملي

(يصلح للرومانسية وأعمال المكتب)

الضحكات الصغيرة التي تبذلونها

لتشعري الآخرين

أنتك واثقة

الجمل الفلسفية

التي تحفظونها

لـ"بيكت" و"تيثشة"

وأحياناً

بعدم تمكن

لابن عربي

مرورك الخفيف

على المكتبات الثقيلة

ومجاراتك المدروسة

لأطفال الحي

كدليل عملي

على اهتماماتك بشؤون البطء - كما تسميهم -

دون حساب

أفعالك اللغوية

التي تستخدمونها

لتوحي بأن الفعل مشترك

ك:

"نحن الذين ندرك"

فنصبح لغوياً

متساوين

أنا

و

أنت

ودون موافقتي

تشتريين

تذاكر

لمسرحيات بأسماء سريلية
وتناقشينني لمدة شهرين
بتوزيع الإضاءة
وحركة الممثلين
ودور الإيماء
في إعطاء النص
فضاءات غير مقصودة بالمرّة
ياه !
أوف !
كم
أنت
مملّة !

أنت

أنت
فكرةٌ مباغتهٌ
سلوكٌ طائشٌ
غفلةُ السماء
سؤالان طويلان
إجابةٌ واحدةٌ
وعلامتان من سوء الفهم.
أنت ملتبمةٌ
وشائكةٌ
مثل الوطن.
وغنيةٌ
كحقلٍ أفريقي لم يكتشف
وشاحبةٌ أنت
كضحيةٍ مهتوكة العرض
في ممرات مخافر الشرطة
أنيقة

وتسدُّ الطريق أمام أنصار البيئة

مزحة ممتدة

منذ قرون

وحزن أبيض

أنت أشجار حرجية.

أنت فكرة مباشرة

وسلوك طائش.

حوار

لا تذهب

بكل أناقة سأجلس قبالتك

رتب الأسئلة

لأرتب الإجابات

كما يليق بحوار بين رجلين

التبس الأمرُ عليهما منذ زمن

وعادا تائبين من المرأة.

رتب البياض

واختر المقدمة بعناية فائقة

المقدمات ضرورية لفضّ الالتباس

قدم نفسك في البدء

وانتبه

تهتمُّ النساءُ كثيراً بطالعك

لون عينيك

طول قامتك

وما تفضّل من أغنيات
يهمهنّ، أيضاً، عدد الإخوة
وبنات الخالات

رتّب الأسئلة
لأرتّب الإجابات.

وحدة

بلا مارة يثرثرون
وينسون قطاف المواعيد على أحجاره
وحيداً
ما من نائه يبدد بقاياها
أو يلمّ شظايا خطواته السالفة.
بأردية بيضاء
تعلنه عاطلاً عن استقبال عشاق صغار
يألفون الغبطة في أبيضه

الرصيف

يحتمي بأرملة يافعة
تبحث عن خطوات رجل مضى
تاركاً قصائده
وجبة مجانية
لهواة رياضة المشي.

كَلِّمًا تَذَكَّرْتُ

كَلِّمًا تَذَكَّرْتُ
أَنَّ الْوَقْتَ الْمَتَّبِقِي لِأَحْفَرَ اسْمِي فِي سَجَلِ الْخَالِدِينَ
يَنْطُ مِثْلَ عَفْرِيَّتِ عَلَى أَغْصَانِ أَشْجَارٍ عَالِيَةٍ
وَأَنْ فَتْيَانًا سَيَأْتُونَ قَرِيبًا
وَيَزَاحُمُونِي عِنْدَ حَجَرِ الْخُلُودِ الْمُقَدَّسِ
وَأَنْ نِسَاءً كَثِيرَاتٍ سَيَصِلْنَ لِفَارِسٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعِ
وَكَلِّمًا تَذَكَّرْتُ
أَنَّ حَذَائِي سَيُخَذَعُنِي، وَيَفْكَ رِبَاطَهُ نَكَايَةً بِالْفِكْرَةِ
وَتَهْمِيشًا لِي - أَنَا سَيِّدَةٌ كُلِّ أَشْيَاءِي رَغْمًا عَنْهَا
وَكَلِّمًا تَذَكَّرْتُ
أَنَّ الْفِكْرَةَ سَلُوكٌ، كَمَا ادَّعَى فِيلَسُوفٌ
وَرَدَّدَتْ بِيغَاءٍ
وَأَنَّ أَعْضَاءَ خَاصَّةً بِالتَّاسِلِ
سَتَنْتَهِي صِلَاحِيَّتَهَا
بَعْدَ خِدْمَاتٍ جَلِيلَةٍ قَدَّمَتْهَا عَنْ طَيِّبِ خَاطِرٍ
لِطَالِبَاتِ الْجَامِعَةِ

وكلما تذكرت

أنَّ الشعرَ في عكاظ

يباعُ وفقَ رغبةِ أبي سفيان

وأن أوسلو مقدمة ضرورية

لمنحي جواز سفر

و "يرجى من ذوي الشأن السماح لي بالمرور وبدون تأخير

أو إعاقة وعند الضرورة حمايتي وتقديم المساعدة لي"

وكلما تذكرت

عرفت

أن أسمى الذي تعرفه السكرتيرة

وسبعة شعراء

وأولاد الحمولة

وحاجات الحارة الجالسات على زكريات سحيقة

(أحياناً يتهن به فيندهنني بأسماء أخوتي)

كلما تذكرت

عرفت

أن اسمي

لا يشيرُ إليّ.

قصة

المكان ، أذكره برأفة
وأمشط ألوانه الباهتة
الزمان ، قبل ثلاثين وقتاً
وصوتها الحارس
يركض مثل المَها خلفنا .

أمّا هو ، الرجل الذي تحت ذراعه
يلفُ البيتُ
برائحة حادة
لا أحبها
بيد أنني لا أستطيع النوم إن غاب طويلاً .

كنت أمقته
وأحفظ غيابه عن ظهر قلب .

أما القصة التي سأرويها

ليس من أحد ليعرفها
سوى المرأة الوحيدة
التي تمسك أعصابي
بيدين راجفتين وتحركني
كالدمى.

القصة

كاملة

ومشوّهة

قصة الولد الذي كبر فجأة
ووقف أمام المحكمة.

ثم فجأة ، أيضاً ، رأيت كل شيء

المدينة الكبيرة بعماراتها

سجائر الماريغوانا

والضحك المتطاير من نوافذ سكنات الجامعة

نساء كثيرات رأيتهن أيضاً،

(3) عذاري

(50) خائنة

(4) منحني كامل الحبّ

وأخريات فاسقات

وتفقيات يجربن الرذيلة.

كان كلّه قد رأيتَه

النهر

الجراح التي تفيق كل ليلة

في دم العشيقات المغدورات

حرصهن الشديد على الثأر من عشاقهن

فيغدرن بأجسادهن دون قصد.

بنات اليسار ، على فكرة ، رأيتهن ، أيضاً ،

بالجينز

يدخن

ويأكلن الساندويتشات

ويقرأن جرائد سرّية

كذلك أنا

قرأت أسماء كبيرة لأبدي غريباً
"شوبنهاور" - لا أعرف عنه شيئاً يذكر
"أسوكا أساهارا" - لأجتاز الحياة والموت
"إدوار الخراط" و"نيسنوفسكي"
وأسماء غامضة أود لو أنكرها
إلا أن الوقت والمساحة لا تسمحان بذلك
وفكرت - تقريباً - كل يوم بمحمود درويش
بقميص أزرق
وغموض جذاب
وشعر يتطاير برقة
وتتحدث عنه النسوة في خلواتهن
ويحلمن به في الأسرة الوحيدة.

وحين صعدت المنصة
فشلت فشلاً مريعاً.

الجزء الثاني من القصة
سيأتي تباعاً إذا شاء الله .

أمِّي

كدت أعتاد غيابك
واقفة على الدرجات
تصلين من أجلي
وأبتسم لأجلك .

المحتويات

5	البصر للأعلى .. السمع لوقع الخطى الضالة
7	■ ملاحظة
8	■ عن الماضي
11	■ فعل
12	■ أضواء ميّنة
13	■ البصر للأعلى .. السمع لوقع الخطى الضالة
15	■ كلام ميّت
16	■ الكلام
18	■ العلاج أكثر من مرّة
20	■ باب أول
21	■ باب آخر
23	■ جسد
25	■ غياب
27	■ الضحك متروك على المصاطب
29	■ مطاردة
30	■ غربة
31	■ طفولة
32	■ إدراك
33	■ خيانة

- 34 رحيل ■
- 36 بعل وعناة في زيارة الأرض المحتلة ■
- 38 وقاية ■
- 39 حالات ■
- 41 قصائد لزجة ■
- 43 قصائد لزجة ■
- 46 دعاء ■
- 47 ربما ■
- 49 العالق ■
- 50 ضريح ■
- 51 حاجة ■
- 53 عتاب ■
- 54 عندي ثلاث جارات ■
- 57 كل ما في الأمر ■
- 59 غياب ■
- 60 فضل من نسيان ■
- 61 كل ما في الأمر ■
- 63 دوائر مثقوبة ■
- 64 حنين ■
- 65 عجوز يتمشى على جسر مهترئ ■
- 66 انتظار ■

68	■	أشياء عاطفية	■
71		صور قديمة	
73	■	صور قديمة من جامعة	■
75	■	ثقافة	■
78	■	أنت	■
81	■	حوار	■
83	■	وحدة	■
84	■	كلما تذكرت	■
86	■	قصة	■
90	■	أمي	■

تهتم هذه السلسلة التي تصدر عن «المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي» بجمع وتوثيق الرواية الفلسطينية بأبعادها التاريخية والثقافية والاجتماعية، ومن هنا يأتي توزعها على عناوين تخصص كل منها في مجال، لتشكل في المحصلة عنواناً واحداً هو: فلسطين رواية الذاكرة وذاكرة الرواية؛ الذاكرة بمعناها الواسع والمتجدد الذي يبنى قوته من ذهابه نحو المستقبل.

يشرف على هذه السلسلة كتاب وأكاديميون وباحثون متخصصون، تستقي معلوماتها ومعرفتها من مختلف المصادر المتوفرة، الشفاهية والموثقة، وتخضع للتدقيق والدراسة والمقارنة، قبل أن تصل إلى يد القارئ.

إن ثغرات كبيرة، تعتري رواية الفلسطيني عن نفسه، وهي ثغرات ساهمت فيها ظروف التشقت واللجوء والهجرة، وسياسات الاحتلال وإجراءاته، ومحاولات التذويب وطمس الهوية الوطنية الفلسطينية العربية، التي لم تتوقف منذ نكبة العام ١٩٤٨، وما قبلها.

وتأسس مشروع «المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي»، على محاولة سدّ هذه الثغرات، عبر جمع الرواية من أصحابها، مستفيدة من الجهد المبذول في هذا المجال، على أيدي كتاب ومبدعين ومؤرخين فلسطينيين وعرب وآخرين من أرجاء العالم.

إن إصدار هذه السلسلة، هو في الوقت نفسه، دعوة من «المؤسسة» لكافة المهتمين، للمساهمة في إغناء المشروع، ورفده بالمادة المتوفرة لديهم، لتعميق وتطوير هذا الجهد.

